أيام الفن التشكيلي السوري.. ذاكرة إبداع متواصل

ندوة فكرية تبحث في علاقة الفن التشكيلي بوسائل التواصل الاجتماعي

في احتفالية كبرى بالجماليات البصرية تتواصل حتى نهاية ديسمبر الجاري بكامل محافظات سوريا فعاليات الدورة الثانية من أيام الفن التشكيلي السوري، التي أتت هذا العام تحت شعار "ذاكرة الإبداع"، وفيها يقدّم أكثر من مئة فنان وفنانة نتاج العام التشكيلي السوري الذي تنوّع بين معارض الرسم والخط العربي والتصوير الفوتوغرافي والخزف وغيرها من الفنون البصرية.

نضال قوشحة
كاتب سوري

دمشق – للعام الثاني على التوالي تحتفي مديرية الفنون الجميلة بدمشق التابعة لوزارة الثقافة بالفن التشكيلي السوري من خلال إقامة أيام الفن التشكيلي السوري، الذي انطلق في السادس عشر من ديسمبر الجاري بدمشق تحت شعار "ذاكرة الإبداع.. سوريا"، متضمنا العديد من النشاطات الفنية والفكرية وورشات العمل المتخصّصة.

عبدالناصر ونوس

النت أزاحت عن الفنانين شعور الوحدة التي كانوا يعانون منها

وانطلقت الاحتفالية بفيلم وثائقي عن المناسبة بعنوان "معرض المعارض"، أعدّه الناقد التشكيلي سعد القاسم بيّن فيه على امتداد عشرين دقيقة نشوء وتطور حالة إقامة المعارض الفنية في سوريا عبر الزمن، موثقا فيه للعديد من المعلومات التي تعتبر علامات بارزة في تاريخ الفن السوري المعاصر، منها: أن أول معرض فني للرسم أقيم في سوريا كان في العام 1926، ثم تتابعت المعارض بين حكومية وخاصة حتى بلغت المئات بل الآلاف.

كما شهدت حفلة الافتتاح التي أقيمت بدار أوبرا دمشق تكريم عدد من الفنانين التشكيليين السوريين وهم: غسان جديد وعبدالله السيد وغسان نعنع، والفنانين الراحلين عبدالقادر أرناؤوط وإقبال قارصلي وغسان السباعي.

معارض متنوعة

على امتداد أيام الفعالية قدّمت مجموعة من المعارض في كافة المحافظات السورية، حيث أقيمت معارض في التشكيل والنحت والخط والتصوير الفوتوغرافي والخزف، شارك فيها المئات من الفنانين والفنانات، ففي دمشق أقيم معرض الخريف السنوي، ومعرض الخط العربي، ومعرض الخزف، ومعرض التصوير الفوتوغرافي ومعرض ما بعد الروّاد في التشكيل والعديد من المعارض الفنية الأخرى، إلى جانب ورشات عمل فنية، ومحاضرات وندوات في صالات العرض الفنية، إضافة إلى العديد من البرامج في كليات الفنون الجميلة في المعاهد والمراكز المنتشرة في البلاد.

وعن أهمية الفعالية يقول الفنان عماد كسحوت، مدير الفنون الجميلة بوزارة الثقافة، "الهدف من المعرض هو تكريم الفن التشكيلي السوري والقامات الفنية الكبرى التي نحتت مسار الفن التشكيلي السوري على امتداد زمنه الطويل".

وفي خطوة تكريمية جديدة قدمت في الفعالية احتفالية خاصة في صالة الشعب للفنون بعنوان "جيل ما بعد الرواد في التشكيل" ضمت أعمال عدد من الفنانين الذين جاؤوا في المرحلة ما بعد التأسيسية التي أوجدها الرواد، والذين تابعوا مسيرة هؤلاء في تقديم ألوان من الفن السوري، وبلغ عدد اللوحات المشاركة في المعرض الأربعين، منها لوحات للفنان الشهير ممدوح قشلان ومحمد غنوم.

وفي سوق البزورية الذي يمتلك شهرة خاصة في بيع المواد الغذائية والحلويات، حيث يقع خان أسعد باشا المعلم الأثري الهام في دمشق القديمة، أقيم معرض الخريف السنوي والذي يضم أعمالا للفنانين الكبار في السن وكذلك لجيل الشباب.

سلاح ذو حدين

ضمن سياق الندوات الفكرية التي أقيمت بالتوازي مع فعاليات المعارض، أقيمت ندوة بعنوان "خريج كلية الفنون، إلى أين؟" شارك فيها مصطفى علي ونزار صابور وإحسان العر. كما أقيمت ندوة بعنوان "حال التشكيل السوري اليوم" شارك فيها إلياس زيات وطلال معلا وعهد الناصر ديوب.

أما الندوة التي لاقت اهتماما كبيرا من جمهور الأيام نتيجة موضوعها الخاص والحساس فأتت تحت عنوان "وسائل التواصل الاجتماعي والفن التشكيلي" والتي شارك فيها سعد القاسم وعبدالناصر ونوس وأدراها أكسم طلاع، تحدث فيها أصحابها عن الأهمية القصوى التي توفرها مواقع النت والتواصل الاجتماعي حاليا أمام الفنانين الشباب في التعارف مع غيرهم من الفنانين، وكذلك صالات العرض.

وقد بيّن سعد القاسم في مداخلته أن عصر النت والفضاء المفتوح الذي أوجده أعطى المزيد من الشفافية ورفع مقدار المصداقية بين الفنانين إلى درجة عالية، بحيث لم يعد أحد قادرا على الادعاء أنه مشارك في معارض فنية عالمية أو في ندوات دولية دون أن يكون ذلك حقيقيا، لأن مواقع النت صارت تنشر تلك التفاصيل، والتي يستطيع المهتم من خلالها أن يلاحق الأمر ويتأكد من حقيقته أو عدمه، كما أن الفنان الشاب يقدر من خلال هذه الميزة أن يشاهد المعارض الدولية التي تقام في العالم عبر تصفح مواقع المهرجانات المختصة وخلال وقت قصير، كما أنّ مواقع التواصل قد جسرت الهوة بين الفنانين وصالات العرض بحيث أمكن لأصحاب الصالات أن يتعرفوا على الفنانين الشباب من خلال مواقع النت الشخصية والتفاعل معهم فنيا ومهنيا.

أما الفنان عبدالناصر ونوس، فرأى "أن عصر النت قدّم خدمة كبيرة للفنانين الشباب تحديدا، كونهم باتوا الآن قادرين على التواصل مع المعارض العالمية بسهولة وكذلك التواصل مع عدد من الفنانين العالميين الذي كان عصيّا عليهم التواصل معهم سابقا، فيمكن الآن أن يتبادل هؤلاء الشباب الآراء والأحاديث من خلال النت، ويمكن حتى كسب صداقات هامة على المستوى المهني من خلال مواقع التواصل الاجتماعي".

وأكد على أن الاهتمام بموضوع النت، هو أولوية كبرى حاليا، مستشهدا بما قدمه معهد أوكسفورد للنت الذي أعد دراسة لعام 2019، بينت مقدار ما تقدمه النت من أهمية في مجال الفن التشكيلي وأن النت قد أزاحت عن الفنانين شعور الوحدة التي كانوا يعانون منها.

كما قال طلال "أن عصر النت خطير، كونه يحمل ملامح العولمة الثقافية التي تجتاح كل شيء، ونحن في عالمنا العربي أريد لنا التموضع في مواقع محددة، بحيث نكون الطرف الأضعف الذي يقبل بكل ما تأتي به ثقافة الآخر، عصر النت يلغي الجغرافية ويمحو التفاصيل البيئية التي عشنا عليها، لذلك فإن عصرنة فننا التشكيلي عبر مواقع النت أمر بالغ الخطورة والتعقيد".

بينما بيّن أحد الفنانين المشاركين بأن المحتوى العربي في مجال الفنون التشكيلية لا يتعدى الخمسة بالمئة من المحتوى العالمي، وهو ضعيف ومُلتبس، والكثير من الفنانين لا يميزون حتى الآن ما بين الصفحة الشخصية والموقع والويب. وهي أمور بديهية وجب فهمها كي يتسنى لهم معرفة خصوصية عصرهم والتحول الذي يعيشون فيه ومدى أهميته.

احتفاء بتجارب فنية أثرت المشهد البصري السوري

تنويعات جمالية جامعة لكل المدارس الفنية

في أحوال ثلاثية الثائر والفاسد والبلطجي

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

يخاطب بطل فيلم "الجوكر" ذاته قائلا "كنت أعتقد أن حياتي مأساوية، لا.. إنها كوميدية".

لم يكن "الجوكر" (المهرج) في كلماته يتكلم فقط عن ذاته، بل كان يتحدث عن محيطه وعن اشتباكه معه في علاقة مُعقّدة يصعب تصنيف كل عنصر فيها بمعزل وتضاد مع العناصر الأخرى.

لاقى الفيلم رواجا كاسحا، وردت أغلبية الآراء هذا النجاح إلى انتمائه إلى عالم معاصر بائس يسوده الإحساس بالعزلة والفقر والتهميش والبطالة، ما نتج عنه من نشوء تصرفات عنيفة/ أنانية.

أما "كوميدية" الحياة فمتأتية من الوهن نتيجة إخفاق محاولات البشر في الانتصار على الوجع وفي تصنيف الشر والخير، الممكن والمستحيل.

ويقع الالتباس مدويًا في نفس مُشاهد الفيلم مانعا إياه من التعاطف كليا مع هذا أو ذاك الطرف في سياق تخترقه رجّات لا تنفك تُفسد الأمور والمواقف تجاهها.

دخل وجه الجوكر إلى ساحات الثورة اللبنانية في أوج انتشار الفيلم، ونذكر هنا سينتيا أبوجودة المخرجة الفنية في عالم التصميم التي لوّنت وجهها بقناع الجوكر الذي يرمز إلى الموقف اللبناني المُتّحد بوجه واحد لأول مرة ضد سلطة لا تسمع ولا ترى ولا تقيم أي وزن للشعب، وتمعن في نهبه وشرذمته بسلاح الطائفية. كما رسمت مجموعة "أشكمان" المشهورة في فن الغرافيتي اللبناني وجه الجوكر بصيغته اللبنانية في بداية الثورة.

ثم تجلّت ظاهرة الجوكر ليس بظاهرة فحسب، بل بما يمثل من صراعات نفسية في ساحات الثورة. فهو الثائر التراجيدي الخارج عن صمته وعزلته ليتصل بباقي "المهرجين" في كافة المناطق اللبنانية في لحظة وعي جارحة ومجروحة. غير أنه خلافا لمهرج فيلم "الجوكر" تأبط السلمية كي يحمي ذاته في عالم مجنون نخره الفساد حتى العظم.

من يعيش في لبنان يدرك أن السلمية اللبنانية الملامح هي حاميته وناحرته في الآن ذاته، لذلك تخبّط "جوكر" لبنان ولا يزال إلى الآن في وحول الوهن حينا ونار الحماسة حينا آخر.

يبقى المهرج/ الثائر/ السلمي اللبناني غامضا ومُقلقا حتى لنفسه. غير موجود ليضحك أو يُضحك بل ليخترع تغييرا في الواقع المسيطر عليه شيطان متجذّر غذته جهات خارجية وداخلية، وليخترع ذاته من ضمن عبثية مُؤطرة تمتلك قوانينها الخاصة.

وشهدت أولى أيام الثورة "الثائر الشيطاني" الذي دمّر المحلات الأنيقة والفاحشة الثراء في وسط بيروت قبل أن ينكفئ بعيدا عن الساحات أو يروّض نفسه ليصبح ثائرا سلميا صرخ بوجه السلطة "ليسقط حكم المصرف".

وهناك نوع آخر من المهرجين، "بلطجية" السلطة الذين تحركوا بإشارة منها. دخلوا إلى الساحة ليخرّبوا الثورة فدمروا الخيم المنصوبة وتعدّوا على الثوار السلميين. لكن لأي حد يمكننا فصلهم كليا عن الثوار الأنقياء؟ فهؤلاء التعساء قد تخلّوا عن الأمل بحياة كريمة ليبيعوا أرواحهم للسلطة الفاسدة. ارتدوا قسوة الحياة حتى باتت جلدهم الكاسي لأرواحهم. انتقامهم من الآخر الذي لا يزال يتمسك بالأمل جاء عدوانيا تجاه الذات قبل أي أحد آخر.

ويحلو لنا هنا أن نحيل مشاهد المدينة الغاصة بالنفايات في فيلم "الجوكر" إلى مدينة بيروت التي تعاني من هذه الآفة. من رمزيتها نشأت نزعة تدمير كل ما هو نقي في داخل الجوكر المتحوّل إلى بلطجي. غير أن الرمزية ذاتها لم تتمكن في ناحية أخرى من تدمير نفحة الأمل في نفوس كل الثوار. هؤلاء استمروا ناصعين في إنسانيتهم.

وإذا كان فيلم "الجوكر" يستعرض أصناف المهرجين من الثائر السلمي والثائر العنيف والثائر البلطجي ففيلم "الشيء" أو "إت" يستعرض بدوره المهرج الفاسد المُلقي بظله على كل أصناف الثوار.

وجه المهرج المخيف في هذا الفيلم يختلف عن وجه المهرج في فيلم "الجوكر" الإنساني المتضرّج بآلامه. أما المتصدون لمهرج فيلم "الشيء" الدموي فهم مجموعة أولاد يشبهون الثوار العنيفين والسلميين والبلطجية على السواء لأسباب مفهومة نفسيا واجتماعيا.

أدرك هؤلاء الأولاد/ الثوار المسكونون بمخاوف جمّة أن المدينة هي ضحية لطاعون الفساد الذي يقتل دوريا أولادا كثرا (كما في لبنان). مخاوفهم شبيهة بمخاوف الثوار اللبنانيين: الخوف من المستقبل، ومن الإخفاق، ومن الانفصال عن الأحباب لداعي الهجرة أو بسبب الموت فقرا أو مرضا.

ربما يبقى أقصى ما يمكن التأمل فيه هو الشبه القائم ما بين الثوار والفاسدين ونقطة التقائهم الغرائبية التي هي الجنون. فالثائر والفاسد هما انعكاس واحد في نفس المرآة الوجودية، ولكن في تناقض مع جنون الآخر.

يبقى اختلاف خارق: عندما ارتدى الثائر قناعه لم يعُد قادرا على الانفصال عنه وعمّا يمثله من صراع مع العالم الكئيب. أما الفاسد فقد ارتدى قناعه مع الاحتفاظ بإمكانية خلعه متى يشاء، ممّا أمّن له فسحة استراحة من الجنون. هذا المهرج الفاسد يكذب على ذاته وعلى الآخرين بتناغم مع ما ينتجه من فساد وإجرام.

وقد تجلّى جنون الفساد كقناع خطير ومُتعامل معه بخفة فائقة حينما خرج رئيس الجمهورية اللبنانية في أكثر من إطلالة خلال الثورة التي بحّ صوتها بالمطالب بسؤال فاحش "ما هي مطالبكم يا ثوار؟". تماما كما حصل في فيلم "الفكاهة القاتلة" ما بين باتمان والمهرج "أتيت لأتكلم معك. لكي نصل إلى تفاهم مشترك". من النافل قوله إن الخراب هو ما نتج عن هذا الشرخ الجنوني.

في إحدى مظاهرات الثورة طلب منادي من على منصة ما يُلخّص درامية الواقع "رجاء ليخلع الجميع أقنعة المهرج. كلنا نعرف بعضنا هنا". لكن هل صحيح أننا كلنا نعرف بعضنا؟

جوكر لبناني غامض ومُقلق حتى لنفسه

الجوكر اللبناني خلافا لمهرج فيلم «الجوكر» تأبط السلمية، كي يحمي ذاته في عالم مجنون نخره الفساد حتى العظم